

الباب الخامس عشر

التربية الخلقية

النمو الخلقى ومعناه . الإرادة وتربيتها
العادات وأهميتها . الانفعالات والعواطف
المثل العليا . الشعور الدينى

obeikandi.com

معنى النمو الخلقى وأهميته

إن ثمرة التربية الصحيحة نمو الطفل نموا متوافقا في جميع قواه الفردية ، ويشمل ذلك نمو الجسم والعقل والخلق .

فالمرء لا يستطيع أن يعيش صالحا أو سعيدا ما لم تتوافر له صحة البدن ؛ ولا يكون عقله سديداً وقديراً على تدبير شئونه وحسن تصرفها ما لم يكن جسمه سليماً ؛ ولا يمكن أن يشب على خلق حميد يجلب به الخير لنفسه ولغيره ويدفع به الشر إلا بالحياة الصحية والتفكير القويم .

فالنمو الخلقى يتكون ويزدهر بمساعدة النمو الجسمي والنمو العقلي ، ويزداد تحت ظلالهما ، وبه يصير الطفل في معترك الحياة قوة تسعى في دماءه لينة ، وحرية وسعة غير هيابة ما يهترضاها في سبيل الأعمال الصالحة ؛ وبه النجاح بعينه في الدنيا ، والاستبشار بالنصر دائماً . فقيمة المرء في الحياة تقدر بما يصل إليه من رقي النفس وكما لها واتصافها بالحكمة والعفة والعزة والعدل ، وبما يتغلغل في نفسه من بواعث العمل لصالح الفرد والمجتمع ، ومقدار استعداده لتبذ الشر ، وتجنب الإساءة إلى غيره من الناس .

فالأخلاق الدمثة هي المقياس للتربية الرشيدة .
وأما طريق نموها فأخذ في الظهور بوضوح في مبادئ التربية الحديثة .
وقد أصبحت تربية الأخلاق مرتبطة بالتربية الاجتماعية إلى حد بعيد .

فالأخلاق تتكون في كل ناحية من نواحي حياة الطفل الصغير بطريقة غير مباشرة . ولا يمكننا أن نعلمها أطفالنا في دروس خاصة مقصودة ، أو نبشها فيهم طفرة واحدة ؛ بل هي تأتي نتيجة للروح المعنوي السائد في المجتمع الذي يحيط بهم . فالطفل يتنبه إلى وجوب اجتياز مسالك الحياة بصفته

عضواً في الجماعة ، فيوازن في مختلف علاقاته بأفراد أسرته ورفاقه ، بين صوالحه وصوالحهم ، ويتحتم عليه أن يعرف أسباب الخير له ، ثم ليقابل بينها وبين أسباب الخير لهم ، ويراعى ما ينفعه أو يضره وما ينفعهم أو يضرهم . وهكذا يتدرج إلى أطوار الحياة قادراً على الاندماج مع غيره من الأفراد بثقة متبادلة ، وسمو في المعاملة ، فيقدر مسؤوليته العظيمة تجاه المجتمع الذي نشأ فيه .

ولقد كانت مظاهر التربية الخلقية قديماً أن يراعى الطفل آداب المعاشرة والمجاملات المعتادة ، وأن يلتزم الصمت والسكون في حضرة غيره ، ويطيع الأوامر ، وينفذ الواجبات التي تفرض عليه بدون توان أو مناقشة . ولكن قواعد السلوك الخارجى هذه ، ولو أنها قد تكون دليل الأخلاق ومظهرها ، فإنها لم تعد مهمة في حد ذاتها . وأصبح الخلق يزكك على البواعث الداخلية التي تدفع الطفل إلى الأعمال الطيبة أو السيئة . لذلك وجب على المربي أن يستقصى حالة الطفل النفسية التي تصدر عنها تلك الأعمال ويتخذها معياراً لخلقه .

فالخلق صورة النفس وصفة راسخة فيها ، تنبعث عنها الأعمال بواعز وجداني ونزعة فطرية من غير تفكير أو تردد . ولا تعتبر أعمال الإنسان خلقية إلا إذا كانت تدخلها الإرادة منبعثة بدون رادع من الخوف أو غرض في الشهرة والظهور .

والعناية بالتربية الخلقية تشمل ما يأتي : —

(١) تعديل الغرائز والميول الفطرية وتهذيبها ومعالجة النزعات المختلفة وأنواع الاستعدادات المتباينة ، ورفعها من الحد الضار غير المذهب إلى الشعور السامى والنزوع الأدبى . فعمل الإنسان دليل على خلقه . وترجع معظم أعمال الإنسان إلى غرائزه وميوله الطبيعية ، ولذا فخلقها يتوقف كثيراً عليها .

فالخوف مثلاً يمكن توجيهه إلى التروى ومخافة الله بدلاً من تركه بذرة للجهن والتقهقر أمام العقبات . وغريزة حب الظهور يمكن أن تذكى فى الطفل تمجيد الأعمال الجليلة والمبادئ الخلقية الصحيحة ، ومقت الأعمال الباطلة بدلاً من الخيلاء والزهو الباطل . والمقاتلة قد تصير قوة للجهد الأدبى ، والدفاع عن حقوق الغير ، والاتصار للضعيف بدلاً من حب الانتقام وجلب الأذى . وغريزة الانقياد قد تكون أساساً للخشوع الدينى والخضوع لذوى النفوذ والقانون العادل ، وقد تكون سبباً لضعف الشخصية وعدم المغامرة فى سبيل الخير .

ومن هنا يبدأ واجب المربى فى تنظيم الانفعالات النفسية ، وتحويلها إلى عواطف راقية ، وقيادة تلك العواطف فى سبيل الخير .

(٢) تقوية الإرادة وتوثيق دعائمها فى الطفل حتى يستطيع ضبط النفس والتحكم فى مشاعره ، والإذعان لوحى الحق ، وشحن همته فى الصبر والمثابرة والثبات والمواظبة على وزن الأمور والحكم عليها واختيار الصالح منها اختياراً حراً .

(٣) إعداد الطفل للعمل الطيب بالتدريب الفعلى ، وتكوين العادات الحسنة فى السنين الأولى من حياته .

(٤) وضع القدوة الحسنة فى مراعاة أصول النظام والنشاط وتأدية الواجب وضرب أحسن الأمثال العملية للإخلاص والأمانة والصدق وغيرها من الصفات الفاضلة التى يكسبها الطفل عن طريق اقتدائه بالمثل العليا لقواعد السلوك الخلقى ؛ فنحجب إلى الطفل اتخاذ أبطال من ذويه ومرييه ومن المصلحين ورجال الدين والأدب ليكونوا مشكاة له فى تمثيل الحياة الصالحة فيحتذيههم مقياساً له فى أعماله وتصرفاته .

(٥) تنمية الشعور الدينى لأن الدين يدعم الأخلاق العميقة الأثر

فى نفس المرء . وكل تربية على غير أسس دينية لا بد أن ينهار بناؤها وتتقوض دعائمها ؛ ومن ربى طفله على مبادئ غير دينية كان عمله هداما وتخريبا .

هذه إذن خير الوسائل للنمو الخلقي — أما الطريقة الشكلية لبث دروس الأخلاق كالعضلة والإرشاد والنصح وتلقين الحكم والأقوال الذهبية وتحفيظ القوانين وتوقيع العقاب والتخويف والتأنيب ، فطرق ثقيلة على نفس الطفل لأنها تشعره بالتحكم والإلزام . وربما أدت الى السلوك الصحيح ولكنه يكون ناشئا عن خوف ورهبة لا عن عطف ورغبة .

أما الطرق غير المباشرة فإنها أفعل فى النفس وأدعى إلى اتباعها بدراية عملية ، وأقوى فعلا فى استهواء الطفل الصغير إلى الخير ، وإيحاء روح الفضيلة فى خفيته ، وتسكوين مبادئه ومعتقداته تسكويننا متينا يظهر أثره بين ثنايا أعماله ، ويبعده عن عوامل الرذيلة وعن التعثر فى الخطأ .

الإرادة

الإرادة مظهر من مظاهر النزوع . والنزوع هو الدافع النفساني الذي يدفع الشخص لأداء عمل من الأعمال . أو هو ذلك العمل نفسه إن قام به الإنسان فعلاً .

فإذا كان هذا الدافع موروثاً وعاماً عند جميع أفراد النوع ، كان مظهراً لأحد الميول الفطرية .

وإذا كان مكتسباً شبه آلى كان مظهراً لأحدى العادات .

وأما إذا كان الدافع نتيجة التفكير سمي إرادة . وهي كما عرفها العلامة مكدوجل « العقل في حالته العملية » ، فهي الدافع الذي يدفع الفرد لأداء عمل من الأعمال بعد تفكير وروية .

تحليل العمل الإرادي :

إذا حللنا العمل الإرادي ، وجدنا أنه لا بد وأن يكون مسبوقاً برغبات وميول متضاربة ، يتغلب إحداها على الأخرى بعد التفكير والروية فمثلاً عند قراءة رواية مسلية تتنازعك عدة ميول :

(١) الاستمرار فيها إلى النهاية

(٢) تركها لأداء واجبك المدرسي ، أو لزيارة قريب أو لقضاء

حاجة ما . وينتهي بك الأمر بتفضيل أحد هذه الميول وتنفيذه فعلاً . ولا يتأتى ذلك إلا بالتفكير والموازنة . وهذا معناه أن شعورك بالواجب عليك يدفعك إلى التفكير في الأمر والموازنة بين الميول والرغبات المتعددة

فى نفسك لتنتقى منها ما هو أفضل وأرجح . وهنا تصمم على تنفيذه ، ثم تنفذه بالفعل .

وعلى هذا الأساس نجد أن العمل الإرادى يتركب من : —

- ١ — شعور وجدانى .
- ٢ — رغبات أو ميول .
- ٣ — تفضيل أو ترجيح أحد هذه الميول .
- ٤ — عزم أو تصميم عليه .
- ٥ — تنفيذه بالفعل .

منشأ الإرادة فى الطفل :

نرى أن الوليد لا تظهر عليه أمارات الإرادة أو النزوع الذاتى نحو عمل من الأعمال . فإذا ما كبر وأخذت مداركه العقلية فى النمو ، بدأت نزعاته الذاتية فى الظهور بالتدرج ، وشرع يقوم فعلا بأعمال وحركات عضلية ترمى إلى أغراض ظاهرة ، كالبحث عن ثدى أمه ، أو الحبو نحوها ، أو النظر إلى لعبته الجذابة ، أو غير ذلك .

وبما أن الحركات الإرادية لا بد أن يسبقها تفكير ، فهى إذن لا تصدر عن الطفل إلا بعد أن تستطيع حواسه القيام بوظائفها ، ويقوى فيه الإدراك الحسى ، وتنمو قواه العقلية ، وتتكون لديه أفكار يعمل على تنفيذها بحركات إرادية .

فقوة الحواس على الإدراك ، ونمو القوى العقلية شرطان أساسيان لنمو الإرادة . كذلك للأفكار التى تصل إلى الطفل شأن عظيم فى نموها ؛ إذ ترى الطفل يحول الفكرة إلى عمل يقبل عليه بنفسه إذا ما جلب له الفرح والسرور ، وينكمش عنه إذا ما كان مؤلما .

والطفل يميل إلى التقليد بقطرته كما سبق القول . وكثيرا ما نراه يقلد
الإنسان أو الحيوان بدافع إرادى . فرغبته فى محاكاتها فى أقوالنا وأعمالنا
مظهر من مظاهر الإرادة .

نستخلص من هذا أن حركات الطفل لا تكون إرادية إلا إذا تدخلت
رغبته فى القيام بتلك الحركات . أما إذا رأى الطفل جسما براقا مثلا ، أولونا
جذبا فتوجه تلقاه مباشرة ، لم يكن ذلك عملا إراديا . ولكن إذا اتجهت
نفسه إلى الغذاء عند رؤية الطعام ، ومد يده إلى نوع خاص منه ، كان ذلك عملا
إراديا من غير شك ، لأن الطفل فى هذه الحالة يشبع رغبته ، ويسد رمقه
بإرادة منه .

أما فى الحالة الأولى فالجسم البراق أو اللون الزاهى ، هو الذى جذب انتباهه
فاندفع إليه مباشرة قسرا ومن غير تفكير .

مميزات الإرادة عند الأطفال

إذا لاحظنا أعمال الأطفال الإرادية ، وجدناها تختلف عن مثيلاتها
فى الكبار . فهى قليلة متقطعة . وذلك لأن الطفل لا يزال بعد فى دور النمو ،
وفى حاجة إلى التربية والتهذيب . وأهم الأسباب التى من أجلها كانت إرادة
الطفل ضعيفة ما يأتى :

١ — إن الطفل يندفع إلى العمل بدافع الرغبة الوقتية والميل الشخصى .
وهذا راجع إلى أنه يتأثر بوجدانه أكثر مما يخضع لفكره ورويته . فنراه
لرغبته الشديدة فى الحصول على شىء ما ، يلقي بنفسه إلى التهلكة من غير
تبصر فى عواقب الأمور .

٢ — يدفع الطفل نشاطه الذاتى وحبّه للاستطلاع إلى الانتقال من عمل
إلى آخر قبل أن يتمه . فنراه يعنى بهذا الأمر ، ثم لا يلبث أن ينتقل إلى ذاك .
ومثله فى ذلك كمثل النحلة التى تنتقل من زهرة إلى زهرة طلبا فى ارتشاف

رحيقها فالطفل ميّال بطبيعته إلى كل جديد ، وإلى ما يتطلب النشاط والحركة .
٣ — إن الطفل يشعر بالتعب بسرعة لأقل مجهود يبذله ، كما تنقصه المثابرة
في مواصلة الأعمال والالتفات إليها مدة طويلة .

درجة الإرادة

قد تكون الإرادة قوية وقد تكون ضعيفة .
فالشخص قوى الإرادة هو من يقدم على الأعمال بعزيمة ثابتة ومن غير
تردد ، ويستمر في عمله إلى أن ينال مأربه . وإن قامت الصعاب في طريقه فإنه
يواجهها بصدر رحب ، ويزداد في اقتحامها قوة على قوة إلى أن ينال غرضه .

مظاهر قوة الإرادة

إن قوة الإرادة فضيلة من الفضائل التي لا تثبت في النفس إلا بمراعاة
شروط تكوين العادة . فهي إذن من الأمور المكتسبة التي يحصل عليها المرء
بالتجارب والتعود . ومن مظاهرها ما يأتي :

- ١ — الإقدام : فقوى الإرادة هو الذي يقدم على العمل بعزيمة ثابتة .
- ٢ — ضبط النفس وهو مظهر من مظاهر قوة الإرادة . فسيّر المرء وراء
نزواته ، وعجزه عن كبج جماح نفسه ، راجع إلى عدم مقدرته على ضبطها .
- ٣ — مضاعفة القوى وبذل الجهد في تقوية الدوافع المستحسنة وإخماد
الدوافع المرذولة .

- ٤ — الاستمرار في العمل حتى يصل المرء إلى الغاية المنشودة على الرغم
من العراقيل التي تصادفه .

والواجب علينا تقوية الإرادة في الأطفال بأن نكون لهم مثلاً علياً في
قوة العزيمة وضبط النفس ، وأن نزودهم بالأفكار التي نحملهم على العمل

مراعين في ذلك مقدرتهم الجسمية والعقلية . لأننا إذا أعطينا الطفل عملا فوق طاقته فقد لا يتمكن من إتمامه . وربما دعا ذلك إلى تشييط همته وقتل عزيمته ، إذ يشعر أنه عاجز عن القيام بمثل ذلك العمل . كما يجب أن تكون الأعمال التي يكلف الطفل بها مرتبطة بميوله ورغباته ليقبل عليها بدافع شخصي . وكذلك يجب أن يشجع على العمل من آن لآخر ليتجدد نشاطه ويحتمل الاستمرار في العمل المكلف به حتى يتمه على خير الوجوه .

ضعف الإرادة وعلاجه :

يظهر ضعف الإرادة في تردد المرء في أعماله وهذا لقلة ثقته بنفسه ، وعدم مقدرته على ضبطها ، ولوهن عزيمته وعجزه عن كبح جماح أهوائه . وعلى المربي دراسة نقط ضعف الإرادة فيمن يعهد إليه أمر تربيته كي يقضى عليها أو يعالجها علاجاً ناجحاً باتباع الوسائل الآتية : —

١ — لما كان تردد الطفل في أموره وأفعاله راجعاً إلى عدم ثقته بنفسه وعجزه عن الاعتماد عليها ، كان واجبا على المربي أن يعودده أولاً بالإقدام على الأمور السهلة التي يكون في مقدوره القيام بها ، والوصول إلى نتيجة سريعة مرضية ثم ينتقل به إلى غيرها مع مراعاة التدرج فيها حتى يمكنه فيما بعد أن يقدم على أصعب الأمور من غير تردد أو وجل .

٢ — يجب أن يثير في الطفل الرغبة الصادقة في العمل الذي يكلف بأدائه .

٣ — يجب أن يزود الأطفال بالأفكار الصالحة التي تحملهم على العمل .

٤ — يجب أن يكون الغرض الذي يرمى إليه الطفل من الأعمال التي يناط به تأديتها صريحا واضحا ، إذ بدون ذلك يتخبط فيها الطفل خبط عشواء . فلا عزيمة تدفعه ، ولا قوة تسنده .

٥ — قد يكون ضعف الإرادة في الطفل ناشئاً عن خوفه من الاستهزاء به بسبب تأخره عن زملائه . فيجب والحالة هذه أن نزيل أسباب خوفه وأن نشجعه التشجيع الكافي ليقبل على العمل من تلقاء نفسه .

٦ — يجب أن نغرس في أطفالنا فضيلة ضبط النفس لما لها من الأثر العظيم في تقوية الإرادة .

٧ — يجب أن نستهيى الطفل إلى حسن الظن بمقدرته والثوق بنفسه . فهذا يساعد على تقوية إرادته .

بهذه الوسائل نستطيع أن ننقل بالطفل من عالم التردد إلى عالم الأقدام والعزيمة الصادقة .

المثل الأعلى

إن القدوة الحسنة من أهم العوامل التي تبتث الأخلاق الصالحة في الأطفال، لأنها توضح لهم بطريقة فعلية روح الخير، وتمثل لهم معنى الحياة السامية.

فالتهديب بوساطة المثل الصالح يأتي عن طريق الخبرة. وتنتقل الأخلاق مجسمة في مجراها الفعلي فتدعو نشاط الأطفال إلى التقاطها واقتباسها بالمحاكاة.

والطفل عندما يبلغ شأوا من النمو، يوجه غايته إلى محاكاة أفراد من يعاشره في بيئته، ويتأثر بأعمال من يعجب بهم من الأشخاص الذين تدور حولهم القصص التي تلقى عليه. فيتجه مسلكه نحوهم، ويتخذهم أنموذجا لنفسه يسعى لإرضائهم والعمل على ضوء مبادئهم وأفكارهم.

والمُثُل التي تمثل أمام الطفل تتبدل دلالتها في أطوار نموه المختلفة حسب تغير وجهة نظره إلى الحياة وتطور ظروفه، وتبعاً لعلاقاته التي يكونها مع الناس حتى سن المراهقة حين تتحدد غايته من العيش، فيدأب على تحقيق ما تصبو إليه نفسه.

والإنسان دائماً يطمح إلى الكمال؛ والبشرية بأجمعها أبداً تنشد السمو؛ والمثل الأعلى ماثل على الدوام نصب عين المجتمع، يضيء له سبل الرقي فيجد للوصول إلى أعلى مستواه.

عوامل تكوين المثل العليا للأطفال

طالما كان المثل الذي نضعه أمام الطفل طيباً كان السلوك الذي يوحيه

طيباً أيضاً ، وكانت الأخلاق المبنية عليه قويمه . ولقد يسهل الطفل اختيار أبطاله فينتقيهم من بين أصحاب الجاه أو الشهرة الباطلة ، أو ممن لا يوافقون ظروفه الخاصة وشخصيته ، فينحرف عن حذو الصواب ، وتسوء أخلاقه بمحاكاتهم . لهذا فالعناية واجبة بإحاطة الطفل بالنماذج المثلى لقواعد السلوك ، ومراقبة ما يقع تحت بصره من الأعمال والأفعال .

ولكى نقوده إلى المثل السوى في الحياة العامة يجب مراعاة ما يأتي :

(١) اتصاف كل من يحيطون به من ذويه ورفاقه ومرييه بالسجايا الفاضلة التي نود أن يتمثل بها وأن يحاكيها في حركاته وسكناته وأفعاله المختلفة حتى يكون لها الأثر التهديبي المطلوب .

(٢) تصوير أبطال من عالم الحقيقة أو خلق الخيال ومن أمثل رجال العصر البارزين أو أشخاص التاريخ والإصلاح والاستكشاف والأدب ، وتحبيب الطفل فيهم وإثارة اهتمامهم واحترامهم لهم ، فيتخذهم مصدراً للإلهام الخير ووحى الفضيلة . وأكثر ما يؤثر في الصبية الصغار مثل البسالة والبطولة والشهامة ؛ أما البنات فيعتبرن بالشخصيات التي تشمل عناصر جمال الروح والهدوء والشفقة والتدين وخدمة الغير وعذوبة الطبع وعطف الأمومة .

ولكى تنجلي المثل العليا للطفل أكثر فأكثر ، ويتسع أفقه الأدبي كلما ارتقى في النمو وازداد فهمه ، يجب تنظيم المؤلفات التي نقرأها عليه ، أو نهيوها له ليطلعها بنفسه إذا ما تعلم القراءة ، من كتب ومجلات دورية وصحائف متنوعة ، فيها القصص والأساطير والتراجم وسير قادة البشر بحيث تكون في مستوى تفكيره ، وموضحة بأسلوب طريف يستهويه إلى تتبعها بشغف ، وإلى محاكاة طرق جهاد هؤلاء الأبطال في سبيل الفضيلة ، وتغلبهم على القسوة والظلم ، وخطتهم في إصلاح الشر الذي بينهم .

نشأة الشعور الديني وأثره

لا يمكن أن ينجح الإنسان حقاً في دنياه إلا إذا كان لأخلاقه عماد من الشعور الديني . والدين لا يظفر به المرء بعقله ، وإنما يظفر به بوجدانه ونية قلبه . فالوازع الديني يستيقظ في طوية النفس ، وعنه تنبعث عقيدة الفرد وإيمانه بالخالق عز وجل . وهذه العقيدة وذلك الإيمان يقيان في الحياة شعلة من النور لهداية صاحبهما إلى السلوك بأسلوب لا نهاية لتساميه .

وطفلنا الصغير ، يولد في هذا العالم وبنفسه البريئة بذرة الخير الأصلية التي يشع منها ضوء من الروحانية والحساسية بأسرار الوجود وبقوة الله العليا التي تترامى في الكون والتي تسجلها شواهد الطبيعة ومعالمها المختلفة . فهو كثيراً ما يحيرنا بأسئلته العميقة عن صنع العالم وأبداع الإنسان والحيوان ؟ وأين هو ذلك الباري العظيم ؟ ولماذا لا نراه بيننا ؟ وما بدء هذه الحياة ؟ ولماذا خلق الله تعالى الشيطان الرديء ؟ وكيف أتت الناس إلى هذه الدنيا ؟ وإلى أين يذهبون بعد الموت ؟ وما إلى ذلك من الأسئلة العويصة التي دعت بعض الباحثين إلى تلقيه بالفيلاسوف الصغير .

وفي مرحلة الطفولة الأولى نجد الصغير مستعداً لقبول معتقداتنا في قالب مناسب مداركه الأولية . فهو يتناول تفسيراتنا وردودنا عن أسئلته هذه بإيمان وتسليم تام ، دون أن يفهم ما تنطوي عليه أسرارها من حكمة جزيلة ، وإن هذا ليغذى شعوره ويجلي فيه البصيرة الدينية . وهو يخضع لآرائنا بدافع من غريزتي الانقياد والخوف ، وبعامل من الاستهواء والإيحاء ، ولا سيما أنه قليل الخبرة بالحياة يثق بحسن معرفتنا بالأمور ، ويعترف بتفوقنا عليه ، ويدرك أن مقدرة الله تعالى فوق مقدرة البشر ، وتتجاوز حد الخليقة بأجمعها ، فيخضع لها باجلال وهيبة وخشوع .

وبنمو عقل الطفل وتدرجه إلى سن المراهقة تقوى فيه نزعة التدين فيصبح ورعه ثابتا بالتعليل والتعقل ، ومحصنا بالتمييز والتمحيص . وتقوم عقيدته على أساس مستحكم من الإدراك الكلى لقواعد الدين الحنيف وفروضة القويمة . وهذا طور انقلاب خطير في حياة الناشئ ؛ فإن لم تتناوله بالعناية الشديدة ، ونخصنه بسلامة التفكير والإقناع ، فقد ينساق من كثرة البحث والنقد ، إلى هوة من الإيهام والشك والكفر لا يسمح الله .

ونشأة الشعور الديني تأتي بتأثير القواعد والتعاليم التي فرضتها الكتب المنزل كمدى للحياة الإنسانية العامة . فهذه تبت في الأطفال بحبة الله والإيمان به تعالى ، وتريهم سناء قدرته وسمو حكمته في تشريع الأوامر التي أمرنا باتباعها والنواهي التي أمرنا باجتنابها .

ففي الامتثال لقول الصدق مثلا يكون الفوز في الحياة . ولذا أمرنا الله تعالى أن نحكم الحق على جميع أعمالنا مهما كلفنا ذلك .
وتعليم القرآن الكريم ودراسة الكتب السماوية يجب أن يكونا في بادىء الأمر عن طريق القصص التي تتضمن سير الأنبياء والمصلحين ورسالاتهم التي بعثوا بها إلى أقوامهم المختلفة .

وبما أن الطفل في هذه السن قوى التخيل ، كثير النشاط ، شديد الاستهواء ، ميال إلى المحاكاة ، فيجب أن نهى له القدوة الطيبة في جميع حركاتنا وسكناتنا وأقوالنا وأفعالنا حتى نوحى له التقوى في أثناء قيامنا بالصلاة وإيتاء الزكاة والبر بالغير ، وحتى نوحى له الخشوع والروعة في ذكر كل ما لله عز وجل .

كذلك ينبغي إجابة الطفل عن أسئلته المتعددة بطريقة تناسب عقله وتبين له حكمة الخالق جل وعلا في جبلة خليقته وسم شرائعه ونواميسه مع البشر .

ومن الحزم الأناطلة ، ولا نحاول إخفاء الحقائق أو إفساد تفكيره عليه .
فإذا سأل مثلاً « من أين أو كيف جاء أخى الوليد ؟ » لا نضلله بإقناعه أن
الطبيب أحضره فى حقييته ، أو أنه وجد ذات صباح فى الحديقة تحت شجيرات
الورد ، بل يحسن إفادته بصراحة أن الله تعالى بعثه إلينا كما أرسل أمه وأباه
من قبل ، وكما أنه ينبت النبات لتغذى بشماره ، ويخلق القطيطات لتسليتنا بلعبها ،
فهو أيضاً قد شاء أن يهذى إليه أخاه الجديد ليكون رفيقه فى الحياة .

وإذا شاء الطفل أن يعرف أين كان أخوه المولود قبل خروجه إلى العالم
فلنحدثه عن المحبة الوالدية ولنشرح له أن الأم تتعهد أبناءها وتحميمهم من
الأذى لشدة حبها إياهم ، وأنه من فرط حرصها على أخيه المولود وهو صغير
جداً فى بدء تكوينه ، كانت تحمله بالقرب من قلبها محفوظاً من كل ضرر .
وقد ينزعج الطفل لموت أحد معارفه ، ويكرر أسئلته المتوالية عن « أين
ذهب ؟ » وهنا يحسن أن نذكره بلذة النوم وما يشعر به من راحة عندما
ينهمض فى الصباح . فالله لفائق رحمته بالمتعبين والعجزة والمرضى يرقدهم فى
ثبات عميق يستيقظون من بعده فى عالم آخر منتعشين ومعافين .

ولكى نقرب إلى ذهن الطفل قدرة الله على كل شيء ، وكلية وجوده
فى كل مكان ، فلنصرفه إلى الطبيعة ليمرح فيها ، ويتأمل ظواهرها فتكشف له
أثر البارئ فى بدائعها ، وتتعالى بخياله إلى تصور وحدة جلالته الشاملة
لجميع المخلوقات .

وما المحرك للأفعال العجيبة البادية أمام ناظريه إلا يد الله المحجوبة عن
عينيه وراء كل شيء . فبقدرته الخالق تهب الرياح وتفتح البراعم وتسطع
النجوم ويرخى الظلام سدوله وينبثق الفجر ؛ فهو رب المشرقين ورب
المغربين ، مسجى الليل والنهار ، ووازن المواقيت ، وصانع الأنعام والإنسان
فى أحسن تقويم .

وعند قيام الطفل ببعض أعمال الزرع والائنبات ، يدرك مبالغ ضعف البشر
إزاء قوة الله تعالى ، فبمحض إرادته ينبت الحب بعد بذره ، ويخرج لنا من
بطون الأرض شهي الثمار وجميل الأزهار وحدائق غلبا .

يشاهد الطفل كل هذا فيزيد تقديره لعناية الرحمن وعزير قدرته ،
ويتز أمام عظمتة الإلهية إعجابا وروعة ، ويتحدث بما زين به لنا الحياة الدنيا
من مسرة وسماح ، ويندفع إلى حمده سبحانه وتعالى على ما تتمتع به من فضل
نعمته ؛ ومن ثم تنشأ فيه الرغبة لإقامة الصلاة ، ويتسع قلبه للعطف على
قاطبة الخلائق ، فيجانب الإساءة ، وينبذ كل فكرة لاخير فيها لإنسان . وعلى
هذا المبني الصالح يكون الشعور الديني النزيه الذي ينتهي به المسير في الحياة
إلى الخير الأبقى .

العادات وأهميتها

كيفية تكوين العادات أو التخلص منها

إن السنوات الأولى من حياة الطفل أهم وقت لتعويده مختلف العادات وغرس الصفات الخلقية الحميدة فيه . وذلك لأن قابليته للتعلم تكون على أشدها في هذه المرحلة ففي سن الطفولة يكون الجهاز العصبي مرنا وذا استعداد للتأثر السريع بجميع المؤثرات التي تصل إليه . وكل عمل أو شعور أو تفكير يأتي به في هذا الطور من حياته يترك أثراً باقياً في المادة العصبية ، وبتكرار هذا العمل أو الفكر أو الشعور الواحد ترسخ آثاره في المخ وتعمق فيه ، فيصبح عادة يؤديها بسهولة وبدون تفكير أو عناء . وهكذا يدخر من قوة مجهوده ومن زمن حياته ما يستطيع أن يصرفه في نواحي الترقى الأخرى .

ومن العادات الأولى التي يكونها الإنسان في طفولته ما كان خاصاً بأداب الأكل والشرب والنوم وأوضاع الجسم وأسلوب المحادثة والتحية والمجاملات العامة والاعتماد على النفس في تأدية لوائمه الشخصية والمواظبة على النظافة وعناية الهندام والمحافظة على المواعيد وما إلى ذلك من العادات الصحية والأدبية الأخرى .

والطفل في بادئ نموه يستقبل طول وقته آثاراً مختلفة تطبعها في نفسه يثبتها التي يشب فيها . وهذه الآثار سواء أكانت صالحة أم طالحة لا بد أن تترك وراءها أثراً في نفسه فتكون عادات حسنة أو سيئة تبعاً لنوعها . فهو يتخلق بالرغم منا ومن نفسه بتلك العادات وليس في وسع المربي دفع هذا التخلق الذي يعرضه إليه الاستعداد الفطري ، وإنما في مقدوره أن يوجه هذا الاستعداد إلى الناحية النافعة ، ويجنبه عن الناحية الضارة ؛ فيراقب الطفل

مراقبة شديدة لشغل أوقاته بأعمال طيبة ، وتزويده بأفكار صالحة لتكوين العادات الحميدة المرغوب فيها .

يتبين لنا إذاً أن تكوين العادة ما هو إلا نتيجة عاملين جوهريين هما الأثر والتكرار ، فكلما كان الأثر الذى ينطبع فى نفس الطفل لعمل ما سارا رغب الطفل فى تكراره . وبهذا التكرار يكون التمرين المستمر الذى يثبت العادة فى نفسه ، فيؤديها على نمط خاص ونظام واحد . ولذا فإننا لا نتجح فى غرس العادات الفضلى فى صغارنا إلا إذا عاملناهم بالرفق والود والتفاهم . وأحجمنا عن التخويف والتهديد والإيذاء الذى يلجئهم إلى الكذب والمخاتلة وغيرهما من الرذائل . كذلك كلما كان أثر الفعل موافقاً لميول الطفل وطبائعه زاد مجوده فى تجريبه حتى يتقنه ، إذ هو يعيد كراته باغتباط ، ويوالى محاولته المرة بعد الأخرى بدون ملل . ومن هنا نشأت علاقة العادات بالغرائز حيث ينشأ كثير منها على أساس أعمال الطفل الغريزية ونزعاته الفطرية . فالعمل الغريزى إذا تكرر بطريقة معينة يتخذ أثراً خاصاً فى المخ ، ويتأصل فى الطفل فيصبح عادة وسجية منظمة كالشجاعة أساسها الخوف والمقاتلة ، وكالتعاون أساسه الميل الإيسى وحب الاجتماع ، وكذلك السرقة فإنها ناشئة عن حب التملك والادخار .

ولما كانت العادات فى الأفراد تختلف لتنوع الآثار التى تحدثها ، وجب أن تكون الأعمال التى نقصد تعويد أطفالنا إياها ذات بواعث توافق ميولهم حتى يحققوها بسرور ، ويجدوا لذة فى بذل المجهود اللائق بإنسانها والتدريب عليها . وعلى قدر التدريب والتكرار تكون العادة راسخة فى المرء ومسيطرة عليه .

فلتعويدهم الطاعة والدقة والمثابرة مثلاً ، علينا أن نشق أمامهم الطريق بالبواعث السارة التى تجذب ميولهم الشخصية ، فتدفعهم إلى الانقياد إلينا على

الفور بحرية ورغبة ، كأن نعطيهم واجبات في تنظيم أدواتهم ، ومسئوليات في المحافظة على إخوتهم الصغار ومساعدتهم وتعهدهم ، لنشعرهم بموقف القيادة ونثير فيهم حب التعاون فيؤدوا كل هذا بحزم وبدقة . وهكذا كلما تقدموا في النمو وازدادت قواهم العملية أمكننا زيادة نصيبهم من تلك الأعمال ، فيناط بهم أداء مهمات خطيرة يقومون بها من غير مراقبة ، وبأكبر مقدار من الدقة .

وليكن تعويد الطفل الاهتمام بنظافته الشخصية وترتيب مواعيده وحسن هندامه مرتبطا بدافع من غريزة حب الظهور وحفظ المكانة بين الأنداد واكتساب احترام الآخرين .

وإذا ألقينا أوامرنا على أطفالنا بأسلوب العطف والرجاء واللفظ ، وأحطناهم بالعناية بتنظيم الأعمال التي نود منهم تأديتها ، فإنهم يذعنون إلينا في الحال رغبة في إرضائنا ، وحباً في كسب ثقتنا بهم .

وهم بهذه الطريقة يطيعون عن طيب خاطر ، بعكس وسائل النهي والتحكم والاستبداد بميولهم التي قد ترغمهم على الطاعة فعلاً ، ولكن بشيء من التبرم وبدون تخمس للواجب ، حتى إذا ما وجدوا فرصة للتقصير فعلوا ذلك من غير وجل . هذا فضلاً عما لذلك من نتيجة في إضعاف إرادة الطفل وإفساد استعداداته .

وهناك التنافس الذي يمكن إثارته مع مراعاة الرفق والحكمة لتؤسس عليه الطاعة والدقة والعادات الصحية المختلفة ، فيجتهد الطفل أن يقوم بعمله على طريقة أحسن وأدق وأسرع من الأول . ويجب إزاء هذا التنافس تقدير المجهود الذي يبذله الطفل فيه والحكم عليه بمبلغ تقدمه في الإتيان لا بالنتيجة الفعلية ، لأن هذا يشجعه على المضى في التحسين .

أما دقة التنفيذ ودقة التعبير وملاحظة دقائق الأمور فلا يتعودها الطفل

قائمة بذاتها ، بل يجب أن يراعيها في جميع أعماله . ولجعل العمل الذي نكلف به الطفل شائقاً ، يحسن ان نخلع عليه غرضاً يكسبه لديه قيمة وأهمية ، فيرتاح في السعي إلى إكماله ، وتوصيله إلى الغاية المقصودة .

وفي الأعمال اليدوية والرسم واللعب التعليمي أكبر فرصة لتعويد الطفل حسن التنفيذ ، ولتحديد غرض أمامه يتوق إلى إظهار مواهبه في تحقيقه بحذق ودقة .

ولا يفوتنا أن نذكر ما للقصص الملائمة من الأثر في نفس الطفل لما فيها من جمال المثل الأعلى للطاعة والدقة والنظام والترتيب والنظافة وغير ذلك من الصفات التي تكسو الشخصيات المحبوبة فيها ، فهذه القصص تستهوي الطفل لأن يتشبه بهؤلاء الأشخاص المحبوبين فتكسبه بذلك عظمة وقوة .

أثر العادة في الخلق

إن تكوين العادات الحسنة من أهم أغراض التربية الخلقية لأن كثير من أعمالنا يقوم عليها .

فقول الصدق والأمانة والإخلاص والعفة عادات فاضلة وأساسية في خلق الإنسان ، كذلك التقاليد الخاصة بمحيط الطفل والعرف السائد فيه ؛ فكل ذلك قائم على العادات أيضاً .

والعرف في البيئة الاجتماعية بمثابة معاهدة خلقية تربط الطفل بغيره من الأفراد ، فيحترم مبادئهم ، ويرسخ في نفسه أن من كرامة الانتساب إليهم ، الذود عن تقاليدهم ، وعدم الخروج على مبادئها . وإن لهذا في بناء أخلاقه أثراً كبيراً .

والعادة متى تكونت تصبح آلية غير مصحوبة بكثير من التفكير والوجدان . وهي لا تكفي وحدها لتكوين الخلق القويم ، بل يجب أن تكون

مقرونة بسرعة الخاطر ودقة الشعور وقوة الإرادة . والعادات في جميع الأحوال يجب ألا تسيطر على المرء أبداً ؛ وإلا فإنها تجمع بصاحبها وتخضع إرادته لنفوذها فلا يستطيع أن يعدلها أو يبدلها ، ولا يمكن أن يسخرها لظروفه المتغيرة . فالإرادة يجب أن تكون فوق العادة حتى يتحكم بها المرء على عاداته القديمة أو السيئة ، فيكيفها حسب مشيئته ، أو ينزعها إن حادت عن قصد السبيل .

التخلص من العادات السيئة

متى لاحظنا عادات سيئة في أطفالنا يجب ألا تتوانى في معالجتها ، ولا سيما في أول تكوینها .

ويكون ذلك بالبحث عن الباعث لها والعمل لإخماده . وبما أن الإرادة الشأن الأول في التخلص من العادات الرديئة كما سبق التنويه بذلك ، إذ أن الخطوة الأولى في هذا السبيل هي العزيمة القوية ، فقد يكون الأمر شاقاً في بدايته . ولكن مع ترويض عزم الطفل وتدريبه على الإقلاع عن تلك العادات يسهل عليه إهمالها بالتدريج . وهنا يجب أن يكون تصميمه نهائياً باتاً في نبذها . وعلى المرء ألا يلين مع الطفل قطعياً في العدول عن عزمه ، أو السماح له بالرجوع إلى عاداته القديمة ، أو الإتيان بأي عمل يناقض ما أبرمه من قبل ؛ لأن ذلك مما يقوض إرادته ويضعفها أمام الباعث الخبيث . ويتحتم دائماً تكوين عادات جديدة صالحة في مكان العادات القديمة ، فنوجد للطفل بواعث مستجدة ، وظروفاً صالحة تنسيه العمل القديم وتزوده عنه ، وتغرس في نفسه ميلاً صادقا إلى العمل الطيب ، فينزع إليه حتى يتمكن منه ؛ وهو بذلك يخلع الرداء القديم البالي من العادات ، ويرتدي منها أنفس الشباب وأعلى الديباج . وبقدر قوة الباعث الجديد ، وميل الطفل إليه ، ومثابرتة على الترويض على

ما يدفع إليه من أعمال ، يكون تغلبه على العادة القديمة وقهر باعثها ، وسهولة تكوينه عادة أفضل تحل محل العادة القديمة المكروهة .

فالطفل الصغير إذا تعود الخوف من بقاءه في مكان معين من مسكنه مثلاً ، نستطيع مساعدته لكي يتغلب على هذه العادة ، ويستبدل بها عادة الإقدام بإبعاد أى باعث مخيف في هذا المكان ، وإزالة أى شرك أوقعه في الخوف منه ؛ ثم استدراجه إلى المكان ويبدأ بترك أشياء من الحلوى أو اللعب التي يميل إليها ويطلبها منها ، فرسالة لأخذها من هناك حتى ينشغل فكره بها عن الآثار المخيفة ، ويندفع إلى المكان وهمه محصور في الحصول على ضالته . وهكذا يتعود عدم المبالاة بمخاوفه ، وتغرس فيه الثقة بما يحيط به ، ويتعود الشجاعة والإقدام بدل الجبن والإحجام .

وإن المربي الذي يلجأ إلى الضرب والتأنيب والعقاب المؤلم لمحاربة العادات السيئة في أطفاله ، لا يجنى إلا فساد علاقته بهم ، ونفور عواطفهم منه ، فلا ينسون إساءته إليهم بسهولة . وإن ما يبيده من قسوة ليبقى في أذهانهم ، ولا تمحى آثاره من نفوسهم ، فيتعودون معاملة غيرهم بمثل ما ألفوا من معاملة ذلك المربي القاسي .

ومن أين يأتي لأمثال هؤلاء الأطفال بواعث رقة الطبع والصبر ولين الجانب والعطف إذا لم يرأف بهم آباؤهم حين تزل أقدامهم ، ويخطئ الأمور تقديرهم ، وأولى ثم أولى هؤلاء الآباء أن يمارسوا هناة أطفالهم بحزم نافذ وبصيرة نقادة ليكملوا النقص ، ويرتقوا الفتق ، ويرأبوا الصدع . غير أن هناك مواقف يكون فيها العقاب دافعاً للطفل لأن يضاعف مجهوداته للتخلص من عاداته الرديئة . فإذا كان دائم الميل إلى لمس علب الكبريت مثلاً ونهته أمه عن ذلك وجب أن يكون النهي بلطف أولاً ، مبنياً على أسباب يفهمها الطفل ، مع إمداده بلعبة أو كتاب أو شئ نافع يقوم مقام علبة الكبريت .



سوء التعود

obeikandi.com

فاذا لم يصغ الطفل لقولها ، فلتكرر نهيه بالشدة التي يخالطها العطف ، ثم تتركه وشأنه حتى يثوب من نفسه إلى طاعتها ، لأنها إن واصلت النهي فقد تفتت قيمته أو يؤدي بالطفل إلى العناد . فان فشلت ولم يرتدع ، فلتلج العقاب . وهنا يجب أن تحذر الأم اتخاذ العقاب لذاته ، بل يحذر أن تفهم أنه ليس إلا وسيلة لتقوية عزيمة الطفل وتعويده عدم التهاون في إرضائها . ويكون العقاب بحرمانه من أشياء كمالية في حياته ، أو بإهماله إلى حين على شرط ألا يسوق ذلك إلى الضرر بصحته أو فقد رجائه من التحسن . يجب أن يؤدي العقاب إذن إلى الإيصال والنفع ، وأن يتلو الخطأ مباشرة بعد وقوعه ، حتى يستأصله في حينه . ومن الخطأ أن يساوم المربي طفله على الطاعة بشيء من المال أو المكافآت المادية الأخرى ، لأن هذا ينشئه على المطامع الباطلة . ولكن كما أن النجاح يعقب الجد والعمل ، كذلك يمكن استخدام الثواب نتيجة حسنة للعادات الفاضلة . وهنا تفضل أنواع الثواب التي تمكن الطفل من التمتع بمزايا معينة كالتنويه بمساكه بالإعجاب والثناء ، وخصه بقبلة أو ابتسامة أو بإسباغ لقب محبوب عليه . وينبغي الحذر في توقيع العقاب أو الثواب فلا نشعر الأطفال بالجور أو التحيز أو المحاباة . فقد يتبادر إلى ذهن طفل مثلاً أن أمه تحب أخاه أكثر منه فتنبيله ثواباً أعظم ، أو أنها تعاقبه لأنها تمقته ولا تميل إليه ، فتتولد في قلبه البغضاء ، ويشقى بذلك الخراس الخبيث . هذا ويجب أن يكون العقاب أو الثواب متفقاً ونفسية الطفل حسب إحساسه وميوله ، ومجانساً للغرض الذي وُقِع من أجله حتى تتحقق أراغضه؛ كما ينبغي أن يقتنع الطفل بعبدالله .

الانفعالات والعواطف وتهذيبها

الانفعال هو حالة من الشعور الفطرى تلم بالنفس ، ومثله الخوف أو الغضب أو السرور . وهو فى أبسط أنواعه مرتبط بالغرائز المختلفة ، إذ أنه ينتج عن الباعث الإدراكى لها ، ويسبق الرغبة فى العمل الصادر عن الغريزة ؛ بل إنه المظهر الثابت لها والمميز بين بعضها عن بعض . فالخوف والعجب مثلا يميزان بين غريزتى الهرب وحب الاستطلاع .

والانفعالات أثر ظاهر فى سلوك الإنسان وتصرفاته ، إذ أنها عند ما تعترى شخصا ما ، تولد فيه قوة محرّكة عظيمة ، ونشاطا دافعا للعمل بطريقة معينة حسب الغريزة الخاصة بها . فالمرء إذا خاف غامر فى الأقدام على الهرب من المؤثرات المخيفة بالقفز لعلو مرتفع ، أو الجرى بسرعة مدهشة لا يستطيعها لو كان فى حالة هدوء واطمئنان . وعلى العكس من ذلك قد يشل الانفعال صاحبه فيعجز عن بذل أى مجهود جسمى أو عقلى . فالحائف مثلا قد يحمى فى مكانه لاحرك به ، وقد تقف ذاكرته ، ويقعده تفكيره عن التصرف لتلا فى الخطر الذى يحدق به . كذلك الحياء متى استولى على إنسان جعله ينكمش فى وحدة منعزلا عن غيره من الناس .

ولجميع الانفعالات أعراض خاصة تتم عنها فى المنفعلى . فالغضببان يخفق قلبه ، ويحمر وجهه ، وقد ترتعد فرائضه ، ويندفع إلى العمل بدون روية أو مبالاة . ويستمر الانفعال مابقى الباعث الذى أثاره ، فإذا ما زال الباعث ، زال فى الغالب الانفعال . وإن كان الانفعال عنيقا فإنه يضر بأعصاب المرء ويزعجها ، وينهك جسمه ويرهق عقله . ولذا فلا يؤمن جانبه فى حسن التمييز وموازنة الأمور . فمتى كان الإنسان مسخرأ بقوة انفعاله فإنه لا يستطيع إصالة الرأى وصواب التعليل والتفكير . وقد تشد قوة الانفعال فى نفسه ، فتخرجه

عن حد الاعتدال في مسلكه ، ويبنى تصرفاته على غير فطنة أو سبب معقول .
وليس ذلك فحسب ، بل قد يدفع الانفعال إلى إنسان إلى ناحية الشر في العمل
ويسلبه نزعة الخير . فالزهو مثلاً قد يؤدي إلى الغرور والخيلاء ؛ والغضب
قد يسبب القسوة ويسوق إلى المجرم والسب . لهذا كان تهذيب الانفعالات من
أول العوامل لتكوين الخلق القويم ورفع المستوى الأدبي لأعمال الإنسان .
ويرمى تهذيب الانفعالات إلى الأغراض الآتية : —

(١) تحويلها إلى دوافع أساسية تحفز إلى الأعمال الصالحة وتعمل لتكوين
العادات الحسنة والصفات الفاضلة . فالغضب مثلاً يمكن تحويله إلى الثورة
من أجل الحق ؛ والعجب قد يشجع على حسن الاهتمام بشؤون غيرنا من الناس ؛
والخوف قد يؤدي إلى رهبة الخالق وإجلاله عز وجل .

(٢) ضبط جماحها وتخفيف حدتها حتى تسيطر الإرادة والتفكير عليها .
فمتى كان الإنسان أكثر تحكماً في انفعالاته ومشاعره ، قامت تصرفاته على
أساس من الحكمة والتبصر . فالغضب مثلاً يجب ألا يتسع مداه إلى درجة
العنف في المغالبة والتطرف في الدفاع عن النفس ، بل ينبغي إيقافه عند حد
التفاهم على إقساط الحقوق بالعدل بيننا وبين معاشرنا .

(٣) تنظيمها لتكوين العواطف السامية النبيلة ، ويشمل هذا التنظيم توثيق
علاقاتها ببعضها ببعض ، وتوجيه نشاطها حول مدار معين للجهاد الخلق ؛ وهذه
هي الغاية العليا لتهذيب الانفعالات . فهي متى تحولت إلى عواطف أصبحت
قوى فعالة للخير ، وتبعاً لأعمال المروءة وحسن الصنعة ؛ فالشفقة مثلاً تثيرها
محبة الحيوان والاطفال ، والخوف عليهم من إصابتهم بأذى ، والدفاع عن
سلامتهم ، والغبطة بتعهدهم وتغذيتهم وإراحتهم وإبداء مظاهر الخنو عليهم ،
وتهدئة خواطرهم ، والتأني معهم ، واحتمال ضعفهم ، والتسامح في غلطاتهم .

ومن ثم يمكننا أن نعرف العاطفة : فهي جملة انفعالات متجمعة حول موضوع واحد . وتنشأ في نفس الطفل بعد تقدمه في النمو ، إذ يكتسبها عن طريق الخبرة والتبصر . وأثرها رابض في ذهنه غير زائغ ، وهي على أنواع منها عواطف المحبة وعواطف الكراهة .

ويثار في دائرة عواطف المحبة ، الفرح أو الجذل ، والشعور بجمال الشيء المحبوب ، ومشاركته في الوجدان والحنو عليه ، وحب الظهور به ، والعتاب كأن تلوم الأم طفلها الذي تحبه عند غضبها عليه لقسوته على الحيوان مثلاً والجزع وهو شعور الحنو ممزوجاً بالخوف على الشيء المحبوب ، والشوق وهو الود المقترن بالألم ، والغيرة وهي حب التملك والحنو والغضب معاً .

أما عواطف الكراهة فيثار في دائرتها الغل أو الاستياء وهو ينشأ من تجمع الغضب والسيطرة ، والحسد ويتكون من الخضوع وحب التملك والغضب . ويمكن أن نذكر علاوة على النوعين السابقين للعاطفة نوعاً آخر يطلق عليه عاطفة اعتبار الذات ، وهي تتكون من تفاعل انفعالي الزهو والخضوع . وتظهر في احترام الإنسان لنفسه ، أو شعوره بالكبرياء والغرور ، أو الاستكانة والذلة .

وتتنوع العواطف أيضاً حسب محور انفعالها والموضوع الذي نوجهه نحوه ، فهي حسية إذا كانت متعلقة بأشياء محسوسة كاللعب والطيور والرفاق والإخوة ، والوالدين والدمى والقطيطات الصغيرة .

وهي معنوية إن كانت تدور حول معنى مجرد ، كعاطفة حب الصدق كعاطفة بغض والكذب .

وعواطف الطفل تكون أول نشأتها حسية ومتعلقة بذاته وحاجاته الشخصية ؛ فهو يتعلق بمرضعه وبالأشخاص الذين يلاعبونه أو يرافقونه عند التنزه . ثم إنها بعد ذلك تترقى وتصبح بالتدريج عواطف معنوية اجتماعية



الرفق بالحيوان

obeikandi.com

فتأخذه الحمية للأسرة والمجتمع والجنس البشرى بأجمعه . وعند ما تتعدى العواطف دورها المحسوس ، تتجه نحو المثل العليا للصفات الخلقية الفاضلة كحب الشهامة والإيثار والشرف ، وكراهة الكيد والحقد والغل .

والمرمى الذى نقصد إليه من تهذيب العواطف ، هو الوصول بها إلى هذا النوع المعنوى الاجتماعى ، الذى تتغلب فيه نزعات الحب على نزوات البغض . لأن عواطف المحبة أكثر إفادة وأسرع إجداءً من عواطف الكراهة فى السلوك العام . فتمتأ أحببنا الخير ازدادت فينا الحماسة لتحقيقه ، والرغبة لتنفيذه فى حياتنا العامة . أما كراهة الشر فليست إلا مبدأ نقرره حتى يصرفنا عنه ويدعونا إلى مجانبته فى أعمالنا المختلفة . وقبلما تدفعنا تلك الكراهة المجردة إلى المساهمة فى سبيل النفع والمصلحة العامة .

والعواطف أن لم نصرّفها فى نواحى الجهاد والعمل المفيد ، بقيت مشاعر قوية تجيش فى الصدر ، ولكنها لا تثمر فى الإنتاج الخلقى والإصلاح المأمول ، فالفرد منا قد يكون دقيق الحس فياضا بالعواطف الشريفة ، ولكنه متى واجه مجال البر والإحسان تهيبه ، وقعد عن التعلق بمبادئه وممارستها ، وفاته العمل بها والإقامة على بواعثها الطيبة . ولذلك وجب أن تكون تربية العواطف بالعلم المقترن بالعمل حتى يرسخ أثرها فتصبح مبادئ ثابتة وقواعد صالحة لمسلك الإنسان . وهى كالعادة كلما تكررت بواعثها وكانت سارة مفرحة للنفس ، تمكنت منها ، وتغلبت على التفكير والإرادة . فالسعادة والسرور يبعثان فى الطفل العناية بقطته الصغيرة وإسداء عطفه عليها . ويشجعه الشئ على مداومة الاهتمام بالحيوان الأعجم الضعيف .

وأيضا كلما قويت وجدانية الفرد وحساسيته الطبيعية ، سهل تكوين عواطفه وتهذيبها . فالأطفال وجدانيون بفطرتهم لتمكن الغرائز من نفوسهم وتغلبها على قوى الفكر والإرادة . ولذلك كان من السهل أن نسير بانفعالاتهم

ومظاهر الوجدان فيهم ، فتتخذها أساساً لتكوين العواطف وتنمية الخلق .
ومن العوامل التي تساعدنا على هذا ، تزويد الأطفال بالعناصر الصالحة حتى
تكون مداراً لعواطفهم المختلفة ، ويكون ذلك بإلقاء القصص التي تطلعهم على
طبيعة بلادهم وعلاقتها ببلاد العالم الأخرى ، وعن سكان الأقطار المختلفة
وتاريخ الشعوب ونشأتها وأساطيرها وحياة جهابذة الرجال وجهود البشرية
بأكملها في سبيل تعميم الخير والقضاء على عناصر الشر في العالم — ليأخذوا
بأخذهم ، فيبذلوا أنفسهم في تحسين حال مواطنيهم ، وإسعاد البائسين ، وكف
حاجة المعوزين ومؤسساتهم . ومن الممكن حصانة المعلومات التي يلتقطونها
من القصص بمرافقتهم لنا في زيارة المعاهد الخيرية والملاجئ ومؤسسات
رعاية الفقراء ، وفي رحلات أخرى متنوعة ، تقفهم على مناظر واقعية من
حياة الوطن وتاريخه وأحواله الاجتماعية ، لنجعل مراكز عواطفهم من
نحوه ملموسة ، فتكون أفعال في نفوسهم لا تارة الرحمة والاحترام والاعجاب
وتكوين عواطف الوطنية والإنسانية وحب الخير العام .

ومن القصص ما تمثل العواطف تمثيلاً يناسب عقول الأطفال ويظهر
عواقب أعمالها في صور مشوقة تبين سعادة النفوس ذات العواطف الطيبة،
وشقاء النفوس ذات العواطف الشريرة ، فتجعلهم يريدون الأولى ويهتفون بها،
ويمقتون الثانية وينفرون منها .

وإذا عنيينا بتجميل البيئة التي يعيش فيها الطفل ، لتبهج مشاعره وتبعث في
نفسه الانشراح والسرور ، فإننا ننشئ فيه عاطفة حب الجمال .

فالبيئة المكانية بما فيها من مناظر جميلة وأشكال وألوان وشذى أريج،
تتسلط على وجدانه وتهذبه. وعندما يشاهد الطفل معيشة الكائنات ، ويلاحظ
ملاءمة تركيبها للوظائف التي تؤديها في حياتها ، فإنه ينظر إليها بعين رءوفة
فيعجب بها ويحنو عليها ، وتستلب قلبه وعنايته ، ثم تطبع في نفسه صورة جميلة

لتوافق مظاهر الطبيعة ، فيأخذه العطف على بناتها من أزهار وطيور وأشجار
كان يقتطفها من قبل ويتلفها ويعاملها بقسوة بدافع من غريزة الهدم والتخريب ؛
إذ يسببه العطف على كل ذلك ، فيضن به أن يتلف أو يعامل بقسوة .

ولأنه يشعر بلذة الفن الجميل أيضا في ترتيب مسكنه المهيأ لمعيشته مع
أسرته . وحينما ينعم النظر في تنسيق مشاهد هذا العالم ، ويرى فصائل النبات
وقطعان الحيوان راتعة معه في الحياة جنباً لجنب ، وحينما يتأمل كيف يتغلب
بعضها على بعض ، وكيف يتغلب الإنسان عليها جميعاً يستطيع أن يدرك أعمال البشر
وقدرتهم على إصلاح أحوالهم وتحسين معيشتهم في الأرض ، فتتمو فيه روح
الأخوة وحب التعاون . وهذا الروح يقوده إلى مسلك من الحكمة البليغة
في مساعدة غيره من الناس وإلى حسن التمييز بين النافع والضار من الأعمال .
وإذا ربطنا عواطف الأطفال بالانفعالات النفسية المفرحة التي يثيرها
النغم الموسيقي وألحان الأناشيد والأغاني وإلقاء منتخبات النظم المشير إلى
جمال الطبيعة وحياة البشر والتاريخ القومي ، فإن ذلك يقوى حماسه
ويخصب وجدانه .

كذلك إذا أمتعنا بصره بمختلف الصور والألوان المنسجمة ، وإذا
روحنا عن نفسه بالأنوار الهادئة الجميلة فإن ذلك كله يصور له المعاني تصويراً
يوفق بين مشاعره ، ويبعث فيه الطمأنينة والسعادة والهدوء .

ولا يخفى ما للألوان من تأثير على انفعالات الإنسان . فإذا كانت براءة
خاطفة أو متنافرة فإنها تهيجه وتقلق شعوره . أما اللون الرائق الهنيء فإنه
يشعره بالسعادة والحبور والصفاء .